المكان الفاقد للزّمان

أقف اليوم في شرفتي الصغيرة المطلة على السماء، استنشق هواء الحرية الطلق، أشعر به يدغدغ رئتاي، يداعب شعري، في أذني وقع سيمفونية silence التي تشبه حياتي و ربما رحلتي مع السلطات المصرية.

لطالما جعلني الإنتماء إلى هذه الرقعة الجغرافية أشعر أن حريتي مهددة لكوني مؤمنة بمبدأ أو فكرة، أشعر أن ذلك الضابط يتربص بي كي يودعني حيث باقي "المظاليم".

في وطني لا يمكنك حتى أن تفكر في السلطان أو صاحب السلطان، من غير المطروح الحياد عن مبادئه وفلسفته في الحياة، هنا الحاكم ينزل من منزلة الإله حيث الخروج عن طريقه يسكنك جهنم الأرض.
لازلت أتذكر شريط ذلك اليوم، عندما تهشم باب منزلنا الصغير وتسارعت دقات قلب أبي، وهربت قطتي الصغيرة بسبب هؤلاء الرجال الذين يظهرون دوماً بمظهر ضخم وقبيح، يطلبون مني أن أذهب معهم إلى مكانٍ مجهول.

عايشت تجربة القبض منذ ما يقرب من 9 سنوات، قابلت حينها عبر رحلتي القصيرة داخل أماكن الاحتجاز عدداً لا بأس به من الانتهاكات، في مقابل احتجاجي البريء بعد القبض على فتاة داخل أسوار الجامعة.
تضرب تلك الأحداث الطبول في ذهني، يفزعني ذلك في أوقاتٍ كثيرة، مع كل حملة قبض تنال بعضاً من أصدقائي، مع كل حادث يمر بالبلاد، ومع كل صوت قد يشبه سرينة الشرطة، أو حتى دقات باب المنزل ونحن لا ننتظر أحد.

لم أتجاوز تلاقي عيناي مع ذاك الضابط الذي قرر أن يضربني، أو ذاك الآخر الذي أستلذ كثيراً باحتجازنا في غرفة مملوءة بالماء البارد في شتاءٍ قارس البرودة، لم أتوان عن النظر إليهم، إلى أعينهم، حتى أكشف لهم ستار بطشهم وظلمهم أمام أنفسهم بنظرة واحدة.

يتّخذ الزّمن طابعا خاصّا في حياة السّجينة. فهو زمن رتيب ثابت لا جديد فيه. فالنّهار شبيه باللّيل، والسّاعة تستحيل ساعات، واليوم يصبح أيّاما... كانت اللّحظات الأولى داخل الزنزانة موسومة بالقلق والرّيبة والعمل على اكتشاف المكان الفاقد للزّمان.

ها أنا بمنتهى القوة والاستسلام، انتظر دوري في طابور السجن لكي يتم تجريدي عباءة الإنسان ومن هويّتي لأتحول إلى "شيء" بمجرد إسنادي ذلك الرقم. أتعايش داخل هذا المكان مع صرخات رجال وشباب القضية من فرط التعذيب، والتي لحقتها صرخاتي عند تجريدي كليا من الملابس، وتعرية جسدي أثناء تفتيش سجن القناطر.

عاشرت الظلم خلال تلك الفترة ولم أتجاوز، خبرت أنماطه حين قابلت فتيات ونساء عملت السلطة على إسكاتهن بإحتجازهن وسط ظروف غير ادمية، وانا لازلت أقف مكتوفة الأيدي، لكنني مازلت أردد داخلي جملة أطلقتها ماهينور المصري وانتشرت لتنفخ الشجاعة في صدورنا وهي **"مش بنحب السجون، بس مش بنخاف منها"**.

أسماء مصطفى (اسم مستعار)